سيميائية النص في رواية التانكي لعالية ممدوح

م. م. نجلاء أحمد حسن
قسم الترجمة - كلية الآداب -الجامعة العراقية

ملخص البحث

تحتل الرواية مكانة رفيعة بين الفنون الأدبية، وهي أقرب جنس أدبي إلى حياة الناس، إذ بإمكانها حصر مشاكل المجتمع من خلال ما تحمله من فنيات، تسعى إلى إبراز ما يعانيه من ازمات، الأمر الذي جعل النقاد يهتمون بالنص الروائي وحيثياته الفنية، والنقد السيميائي من أبرز المناهج النقدية التي تجعل النص مفتوحا وغير مكتف بذاته، واعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي كأداة لدراسة النص، بينما كان المنهج الأساس هو تيار السيميائيات الثقافية؛ لقدرته على تفكيك الدوال والغوص في عوالم العلامات. وتناول البحث دراسة سيميائة العنوان، وسيميائية الشخصيات، وسيميائية الزمان والمكان، والكشف عن الأنساق السيميائية المتخفية وراء النص.

كلمات مفتاحية : سيميائية النص ، رواية التانكي ، لعالية ممدوح

Text semiotics in the novel Al-Tanaki by Alia Mamdouh

A. L. Najlaa Ahmed Hassan
Translation Department-college of Literature-Iraqi University

Research Summary

The novel occupies a high position among the literary arts, and it is the closest literary genre to people's lives, as it can capture society's problems through the arts it carries, seeking to highlight the crises it suffers from. This made critics interested in the fictional text and its artistic aspects, and semiotic criticism is one of the most prominent critical approaches that makes the text open and not self-sufficient. The study adopted the descriptive analytical approach as a tool for studying the text, while the basic approach was the stream of cultural semiotics. For his ability to deconstruct signifiers and delve into the worlds of signs. The research dealt with the study of the semiotics of the title, the semiotics of characters, the semiotics of time and place, and revealing the semiotic patterns hidden behind the text

Keywords: semiotics of text, the novel Al-Tanaki, by Alia Mamdouh

سيميائية النص في رواية التانكي لعالية ممدوح

السيمياء لغة

السيمياء: العلامة، وسوم الفرس: جعل عليه السيمة، ومنهم من يقول: عليه سيماء حسنة معناه العلامة، والسِّيَمُ العلامات على صوف الغنم، والخيل المسوَّمَة هي التي يكون عليها السيما والسوّمَة هي العلامة. (1)

السيمياء اصطلاحاً

إنَّ مصطلح السيميائيات مشتق من الكلمة اللاتينية semeion التي تعني العلامة sign إذ أشار الفيلسوف جون لوك في القرن السابع عشر، إلى السيميوطيقيا على أنها النظام العلمي للعلامات، أي النظام الذي ينظر في طبيعة العلامات، وكيفية فهم العقل للأشياء، أو كشف ما تعنيه للآخرين. (2)

فالعلاماتية أو السيميولوجيا هي علم العلامات أو السيرورات التأويلية، تولد روابط عميقة بين العلامات والتأويل، وذلك لأن شيئاً ما لا يكون علامة إلا إذا كان يؤول بوصفه علامة لشيء ما من خلال مؤول ما. (3)

والسميولوجيا هي علم العلامات أو الإشارات أو الدوال اللغوية أو الرمزية، سواء أكانت طبيعية أي تلك الإشارات التي تفرزها الطبيعة من دون تدخل الإنسان فيها أي تكون عفوية وفطرية، مثل أصوات الحيوانات وأصوات عناصر الطبيعة، والمظاهر الدالة على الألم والتعجب والوجع، أم اصطناعية التي يضعها الإنسان من خلال اصطناعها واختراعها والاتفاق مع أخيه الإنسان على دلالاتها ومقصديتها مثل، لغة الإنسان،ولغة علامات المرور. (4)

فالسيميائيات هي كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية، فهي تدريب العين على التقاط المتخفي والمتمنع لا مجرد الاكتفاء باعطاء تسمية للمناطق النصية أو التعبير عن تشكيلات المتن فهي تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني إذ تُعدّ أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني من الإنفعالات البسيطة والطقوس الاجتماعية والأنساق الايديولوجية. (5)

إذن فالسيميائيات علم يدرس أنساق العلامات والرموز ، وتهتم بدراسة الدوال اللغوية وغير اللغوية من صور ورسم وعلامات مرورية وايماءات وسلوك الإنسان وأنساق الايديولوجيا، فهي تنظر بعين شاملة لكل أنواع العلامات الطبيعية والاصطناعية، وهي تعمل على توليد علاقات قوية بين العلامات والتأويل، فهي لا تتوقف عند حد معين من التفسيرات بل ان كل علامة تكون بالضرورة مؤولة لعلامة أو علامات أخرى وهكذا فهي لها ديمومة الاستمرارية في التأويل.

لقد استطاعت النظرية السيميائية أن تتوغل في مختلف الجوانب الادبية والفنية والثقافية بحكم أنها مجالات تتخذ من النصوص الأدبية هيكلا يمكن أن يشمل ثقافة مميزة تنفع بأن تكون مادة متنوعة الأبعاد للدراسة والتحليل فالنصوص الأدبية صنيعة ذوات مرهفة مثقفة تنتمي إلى مجتمعات لها ميزتها الاجتماعية والاقتصادية والايديولوجية والثقافية. (6)،إذ ان معالم سيمياء الأدب أخذت تتضح شيئاً فشيئاً مع ظهور دراسات

(1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، باب السين، مادة سوم،6/440-441.
(2) ينظر: معجم مصطلحات السميوطيقا،برونوين ماتن و فليزيتاس رينجهام، ترجمة: عابد خزندار، ص: 9.
(3) ينظر: العلاماتية وعلم النص، ترجمة:د.منذر عياشي، ص:13.
(4) ينظر: االسيميولوجيا والشعر العربي القديم المفضليات للضبي نموذجاً، أحمد سالم ولد اباه، ص: 14.
(5) ينظر: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، ص: 15.
(6) ينظر: معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، ص: 59.

الشكلانيين الروس وحلقة براغ وبعض تصورات أصحاب النقد الجديد في برطانيا وأمريكا[1]

فالسيميائية تعد من المناهج النقدية المهمة؛ وذلك لما لها من سطوة في استقطاب الباحثين والنقاد، فهي وسيلة فعالة لاكتشاف انماط مختلفة من وسائل التواصل والتبليغ، فهي تعمل على دراسة العلامات التي تنتج من كل الموجودات فضلاً عن ارتباطها بالكثير من العلوم المعرفية مثل علم النفس والاجتماع والفلسفة وغيرها.

إنَّ السيمياء الثقافية من أهم اتجاهات السيمياء الحديثة وهي تنطلق من اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساقاً دلالية، فالثقافة عبارة عن إسناد وظيفة الأشياء الطبيعية وتذكرها وتسميتها. [2] فالاتجاه السيميائي هو ((أحد أهم المشاريع النقدية التي غيرّت مسار القراءة والبحث وفتحت آفاقاً جديدة في التعامل مع الأنساق الدالة على اعتبار أنه يشكل توجّهاً قوياً يعكس تلك المحاولات الرائدة التي وُفّقت إلى حدٍّ ما في تسطير نظرات علمية ونماذج تطبيقية في مقاربة الكوني والإنساني)) [3]

ويعدّ النص حسب لوتمان فسيفساء ثقافياً متنوع الصيغ واللغات ومتجاوز حدود ما هو أدبي، لأنه مولد لعدد غير متناهي من النصوص، وهو بهذا التصور يُعطي السيميائيات حياة أخرى إذ ينظر للنص على اعتباره سيرورة دلالية أو كوناً سيميائياً يتخطى كل تصور ينظر للنص على اعتباره فقط علامة لفظية فالنص عند لوتمان يتجاوز ما هو مادي لفظي داخل ثقافة ما باعتبارها مجموعة من النصوص إلى ما هو لا مادي ورمزي. [4]

إنَّ السردية تُعدّ من أهم الموضوعات التي يهتم بها البحث السيميائي فمن خلال كل الأشكال الخطابية الممكنة سواء كانت حكايات مكتوبة أو مروية أم أقصوصة أو أفلام أو مقالات صحفية وغيرها فالسيميائيات تريد أن تحدد مجموع القواعد التي يمكن من خلالها التعرف على فعل الحكي في حياتنا اليومية المتمثل في الأسطورة، أو الخرافة، والتعبير الجسدي، والدراما. [5]

العلامة هي ذلك الشيء الذي ينتج عند معرفته أشياء أخرى فالسيميائيات تهدف إلى صياغة تصوراتها لقراءة النصوص والبحث عما يمكن أن تضمره أو تقوله، وهذا ما انحازت إليه السيميائيات وعدّته مركزاً تنطلق منه للكشف عن المعاني التي تستنطقها.

وفي محاولتنا لاستنطاق النص الروائي لعالية ممدوح* تتجلى لنا العلامات السيميائية من خلال ترجمة أحداث الرواية وعناصرها الرئيسة وشخصيات أبطالها مستعينين بالمنهج التحليلي الوصفي، بينما كان المنهج الأساس هو تيار السيميائيات الثقافية على اعتباره منهجاً حديثاً يكشف عن نظام العلامات في النص.

سيميائية العنوان

يُعدّ العنوان الباب الذي يمكن من خلاله الولوج إلى عوالم النص والتعرف على خفاياه، فهو العتبة الرئيسة التي يمكن من خلالها الكشف عن مخبوءات النص، فهو علامة كاملة

(1) السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، عبد الواحد المرابط، ص: 9.
(2) ينظر: معجم السيميائيات، ص:97.
(3) السيرورة السيميائية ومشروع الدلالات المفتوحة قراءة في الخطاب النقدي المغاربي،د. بن سنوسي سعاد، ص: 9.
(4) ينظر: السيميائيات الثقافية مفاهيمها وآليات اشتغالها المدخل إلى نظرية يوري لوتمان السيميائية، عبد الله بريمي، ص: 73.
(5) ينظر: سيميائيات جوزيف كورتاس أسسها النظرية وافاقها التطبيقية، د. دايري مسكين، ص: 35.

ومؤشراً حوارياً لا يمكن للمتلقي تجاوزه لكونه جزءاً دالاً يُسهم في توضيح دلالة النص، فهو علامة توحي إلى النص وتدل عليه.

إنَّ العنوان نظام دلالي يدخل فيه كل العلامات اللسانية وغير اللسانية ضمن حقل التحليل السيميائي الذي يتكفل بفك شفرات الدال وإحالته إلى مدلول على وفق القراءة المنتجة.[1]

إنَّ عتبات النص بُنى لغوية أو بصرية تتصدر النصوص أو تليها أو تندرج داخلها على وفق تضامنية بين الكاتب والمتلقي لها سياقات تاريخية وتوظيفية ونصية، ووظائف تعمل على اختزال الكتابة، وتختلف هذه الوظائف باختلاف العتبة ومستواها الفني الذي ينعكس بدوره على وظيفتها الجمالية والفنية، فتشارك العتبة في توسع مديات النص الدلالية، وتبدو الوظيفة مسلّمة لا يعكر صفوها كدر؛ لأن لا توجد عتبة إلا وتُحيل إلى دلالة ما أو تقوم بوظيفة من الوظائف.[2]

فالعنوان هو اختزال للنص بكلمات أو جمل قصيرة تُمكّن القارئ من معرفة الكتاب وأخذ صورة مختصرة عمّا في داخله، وتلعب الصور والرسوم الموجودة على الغلاف دورها في إيصال الدلالات إلى المتلقي، فالصور والألوان والرسوم كلها إشارات وإحالات تدل على دواخل النص.

إنَّ الغلاف بوصفه فضاء لعتبات نصية، وتموضعه في صدارة الكتاب، واتخاذه هذه الرتبة مداراً له، لا بد أن يُعطى مقاربات إجرائية، وأبعاداً علائقية إضافية بينه وبين نصوصه، لن تُعطى له في حال كونه عادياً لا يضم في جنباته ما تضمه الأغلفة الحديثة بعد التطور الطباعي، واتباع آليات متطورة تتشكل منها الصورة المرئية للغلاف، كاستخدام اللوحات الفنية، أو الصور الفوتوغرافية، وتوظيف الألوان من أجل أن تنتج أشكالاً تحمل أبعاداً دلالية وجمالية، تُحيل الغلاف من مجرد حلية مكملة إلى علامات دالة على النص تمكن القارئ من الأمساك بالدلالات والرؤى المتماهية مع النص.[3]

تستدعي عملية تأثيث العنوان من الناقد دراسته بألوانه، وتخطيطاته، وتشكله، دراسة لا تقل أهمية عن دراسة لفظ العنوان ذاته، لقصدية الكاتب في أثبات هذه اللوحة أو تلك من أجل الدفع بالوظيفية الإغرائية للعنونة إلى المتلقي.[4]

رسم في غلاف رواية التانكي حذاء كبير الحجم في أعلى الصورة بلون أحمر، ويخرج منه خيط طويل باللون الأسود يتصل به مجموعة من الأنابيب سوداء اللون وفي نهاية كل أنبوب صنبور قابل للغلق والفتح، يخرج من آخر صنبور فيها عدد من الاحذية السوداء صغيرة الحجم للرجال والنساء، وخلفية الصورة سوداء وفي داخل الغلاف لون أخضر تحيط به الأنابيب السوداء.

عنوان الرواية(التانكي) يحمل دلالات متعددة فقد يدل على حفظ الماء، وما يعنيه من حياة وضرورة؛ لأنَّ الماء هو رمز الحياة، أو ربما يدل على النسل كاتصال الأقارب ومرجعيتهم إلى نسب واحد.

---

* كاتبة وروائية عراقية، من مواليد 1944.تخرجت من الجامعة المستنصرية قسم علم النفس عام 1971،غادرت بغداد منذ 1982، وتنقلت في مدن عديدة، أصدرت مجموعة قصصية تحت عنوان(افتتاحية للضحك) وبعدها توالت أعمالها الأدبية،ثمان روايات تمت ترجمتها إلى الإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية،والإسبانية، أشهرها رواية(نفتالين) إذ ترجمت إلى سبع لغات، ودُرست لمدة سنتين في جامعة السربون.ينظر: موقع العرب.

(1) ينظر: العنوان في الشعر العراقي الحديث دراسة سيميائية، حميد الشيخ فرج، ص: 42.
(2) ينظر: العتبات في شعر الرواد، سعدون محسن إسماعيل الحديثي، ص:22.
(3) ينظر: العتبات في شعر الرواد، ص:43.
(4) ينظر: المرجع نفسه، ص:44.

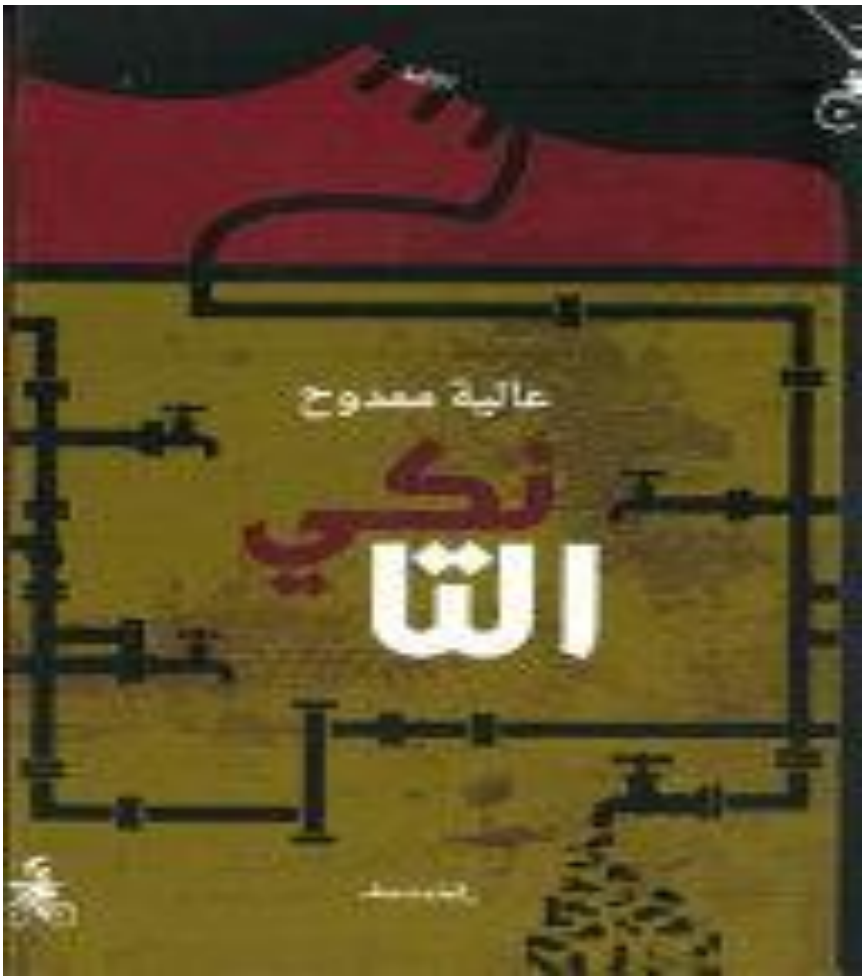

إنَّ دلالة اختيار الألوان تشير إلى إيحاءات كثيرة إذ ليس للون دلالة ثابتة متواضع عليها، وإنما هي أعراف نسبية لدلالة لون ما وامتزاجه بذهنية المنشيء والمتلقي، والفيصل في تعيين دلالة اللون هو السياق الذي يحدد ما تستقيه الكلمة.[1]

جاء اختيار اللون الأحمر للحذاء وما يحمله هذا اللون من دلالات متعددة في التراث الشعبي، وتباين مفهوماته مما يكسبه لوناً مميزاً، وهذ التباين حصيلة ارتباطه بأشياء طبيعية بعضها يثير الألم والانقباض، فمن ارتباطه بلون الدم استعمل للتعبير عن المشقة والعناء والشدة والخطر.[2]

والحذاء يرمز إلى السير وكأن الأقدام تتجه نحو الموت والمشقة والألم بفعل فقد الحبيب كما حصل مع البطلة عفاف التي فارقها كيوم ((علّها تلمحه، علّه يكون هو، فتناديه، فيسيران معاً))[3] هذا القلب الدامي أتصلت بحبل وريده أنابيب أختير لها اللون الأسود دلالة على الموت، كما أنَّه((رمز الخوف من المجهول والميل إلى التكتم))[4]

(1) ينظر:العتبات في شعر الرواد، ص: 117-118.
(2) ينظر:اللغة واللون، د. أحمد مختار عمر، ص: 211-212.
(3) التانكي، ص: 258.
(4) ينظر:اللغة واللون، ص: 186.

تنتهي الأنابيب الممدودة من خزان المياه المرسوم بشكل حذاء بصنبور يخرج منه مجموعة من أحذية لرجال ونساء، وكلها بلون أسود فاللون الأحمر يرمز للدم، والدم بدوره ينقل الإنسان إلى عالم الموت والفناء ؛ لذلك رسمت باللون الأسود.

وتلتف الأنابيب السوداء حول بقعة خضراء اللون تدل على الخصب والنماء، فالأخضر ((يمثل التجدد والنمو والأيام الحافلة للشبان الأغرار، إنَّه لون الطبيعة الخصبة))[1] وإحاطة هذه البقعة الخضراء بأنابيب لها صنابير سود هي تُحيل على ثيمة القضاء على الشباب والحيوية وقتل للأمل والنماء، تحطيم لهؤلاء الأصدقاء الذين كان لهم حلم العيش في عالم يسوده السلام.

يتوسط الغلاف العنوان الرئيس، وهو مقسوم إلى قسمين، القسم الأول منه مكتوب باللون الأبيض، والقسم الثاني باللون الأحمر، العنوان هو (التانكي) وهو االمكان الذي تدور به أحداث الرواية والذاكرة، أما عن كتابة نصفه الأول باللون الأبيض إشارة إلى أنَّ الإنسان يولد نقي القلب صافي الذهن لم تقتله هموم الحياة، فاللون الأبيض يرمز إلى((الطهارة والنقاء والصدق)) [2] يقابله الشق الثاني باللون الأحمر يدل على نقطة تحول الإنسان من الصفاء والصدق إلى العذاب والموت والأذى.

وبهذا فقد أعطى العنوان بصورته ولغته إيحاءات وإشارات وعلامات سيميائية متعددة معبرة عن نص الرواية من خلال تلك الأماكن المختزلة بالصور والألوان.

الدلالة السيميائية لشخصيات الرواية

إنَّ العمل الفني يستند على أسس متكاملة، من أبرزها الشخصية، فهي تمثل أحد أركانه الرئيسة، التي من دونها لا يمكن أن تستقيم حركة النظام العلائقي داخله، والشخصية داخل النص تحمل ميزات نفسية تتوافق مع ذاتية الفرد ومع أشخاص أخرى.

والشخصية هي قوام الإبداع السردي، فهي المركز الذي تنطلق منه الأحداث والمواقف، وهي بتباينها واشتباكاتها، تُمثّل الأساس الذي يقيم عليه الروائي مسار الفعل الدرامي، والعلاقة بين الشخصيات والأحداث علاقة جدلية، تضطلع الشخصيات بتمييز الأحداث، وفي المقابل تضطلع الأحداث بتمييز الشخصيات. [3]

فالشخصية لها العمل الرئيس في تجسيد فكرة الكاتب، وهي من دون شك عنصر مؤثر في تسيير أحداث العمل الروائي، إذ يستطيع الكاتب من خلال شخصياته المتحركة ضمن خطوط الرواية ومن خلال تلك العلاقات الحية التي تربط الشخصيات ببعضها أن يمسك زمام عمله، ويعمل على تطوير الحدث من نقطة البداية وحتى نهاية الرواية، وهذا الأمر لا يتحقق من دون العناية في أختيار أدوار الشخصيات وأبعادها بصورة دقيقة وسليمة لينتج عملاً متكاملاً. [4]

إنَّ الشخصية تهب للرواية كياناً متوازناً من خلال الأدوار والوظائف المتعددة لها، التي تمتد عبر النص السردي وتتخطاه إلى ما وراء فهمنا البسيط فاقتضت أن تصاغ بأشكال مغايرة تستدعي قراءات على صعيد البناء الدلالي والداخلي من أجل الوصول إلى كشف العلامات من خلال تطبيق ممارسة سيميائية مؤسسة على عدة خطوات ويتم توظيفها على شخصيات الرواية موضع الدراسة التي تتناول إبعاد تلك الشخصيات، ودلالات الاسماء فيها.

(1) ينظر:المرجع نفسه، ص: 185.
(2) االلغة واللون، ص: 185.
(3) ينظر: مقومات السرد في الشعر الحكائي أحمد سِمَاعِين للأبنودي نموذجا، د. كاميليا عبد الفتاح، ص: 73.
(4) ينظر: سيميائية التشكيل والدلالة في الرواية السياسية المعاصرة، د. جودة عبد النبي جودة، ص: 197.

تكشف أبعاد الشخصيات في رواية التانكي عن مكنوناتها الشخصية ودلالاتها المضمرة، فهي بمثابة الأدوات المساعدة لمعرفة هدف الكاتب، لذلك نذكر أبرز شخصيات الرواية من البعد الجسمي والنفسي والاجتماعي.

-عفاف

هو اسم مشتق من عفف: العفة: بمعنى الكف عما لا يحل، والكف عن المحارم، والاستعفاف طلب العفاف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس، وقيل: هو الصبر والنزاهة عن الشيء.[1] ، إنَّ دلالة الأسم تتمثل في العفة وعدم التقرب من المحرمات، وبطلة الرواية كانت تعيش لوحدها فلم تقترن برجل وظلت على هذا الحال حتى نهاية الرواية، كما أنها تذكر ما يسقطه الأسم عليها من ثيمة القدر المحتوم بالبعد عن أي رجل حتى وأن فكرت في ذلك،((لماذا يكون لزاماً عليّ، دكتور، بقاء اسمي عفيفاً نظيفاً... فيُصدر صريراً كلما اقترب رجل مني))[2]

كانت عفاف أمرأة ذات قوام رشيق ، وقصيرة القامة.[3] ولدت في أسرة ميسورة الحال وتخرجت من أكاديمية الفنون الجميلة الكائنة في الوزيرية، بعد تركها لكلية الهندسة[4] عاشقة للرسم والغناء، فكان الفن وسيلة تلوذ به من أجل أن تُفرغ ما بداخلها من إرهاصات متراكمة في رأسها على شكل خطوط وأشكال هندسية لتنعم بالهدوء بعيداً عن الضوضاء المتزاحمة، شخصية عليلة تعاني من اضطرابات النوم، وتفاقم معها المرض ليصبح بعد ذلك إلى ألم عضوي من الصعب السيطرة عليه، لدرجة جعلتها تتمنى((الموت، كي لا يعاودها الصداع الشديد والنوم القليل))[5]

كان لاضطراب شخصيتها بعده النفسي على عدم اتزانها، فتناولها للحبوب المهدئة((تجعلها تبدو أقل واضأل من قبل، فتصير شبه متوحشة ولا تحب الاختلاط ولا تكترث بمدح المدرسات لها))[6]

إنَّ ما تشعر به عفاف هو اللا معنى، واللا جدوى، والعبثية، وضياع الاهداف، وتشتت الافكار التي جعلتها غريبة الاطوار، فيمتزج كلامها بالضحك الهستيري المقرون بالسخرية السوداء، وكل ذلك دفعها إلى أن تمزج رغبتها بالحياة مع الموت فلا يكاد ينفك ذلك الهاجس عنها، بل أن تبعثر مشاعرها سلب عينيها النوم، ولم تعد تنام كبقية البشر إلا بتناول الحبوب المهدئة.

إنَّ التشاكل السيميائي والدلالي يُعدُّ من أهم الآليات السيميائية لبناء المعنى، ولتحقيق انسجام النص معنوياً وقرائياً من ناحية الشكل والمضمون معاً، وهذا بدوره يُعدّ من أهم الوسائل التي تحقق انسجام القراءة وإزالة الإبهام عنها.[7]

إنَّ أي نسق سيميائي لا يمكن أن ينظر إليه في ذاته، بل في استعمالاته، وتحولاته، وتطوراته، فهو لا ينتج دلالة مكتفية بذاتها، ولا يعزل بعيداً عن تحققاته، فهو ينتج عدداً من التمثيلات المتعاقبة، يمكن النظر إليها بوصفها علامة تدليلية تنتج معرفة أكثر عمقاً وتطوراً.[8]

---

(1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور،مادة عفف، م29/9.
(2) التانكي،ص: 129.
(3) التانكي،ص: 13.
(4) المرجع نفسه، ص: 24.
(5) المرجع نفسه، ص: 57.
(6) المرجع نفسه، ص: 57.
(7) ينظر: سيميائية النص الروائي عبد العزيز مشري أنموذجاً، أحلام محيسن القثامي، ص: 91.
(8) ينظر: السيميائيات الثقافية مفاهيمها وآليات اشتغالها المدخل إلى نظرية لوتمان السيميائية، ص: 55.

كانت عفاف تريد أن تفرغ من شبابها بسرعة، لعل النوم يعود إليها بعد أن تنتهي سنين حياتها. [1] فدلالة الموت تقابلها دلالة النوم ، فالنوم هو موت قصير يركد فيه الإنسان وتتوقف كل نشاطاته، والموت هو توقف لحركة الإنسان عن كل شيء هو نوم طويل؛ لذلك تمنت عفاف أن تحصل على نوم طويل يعوضها عن نومها القليل الذي حرمت منه، فجعلت راحة النوم مقابل الموت للخلاص من كل هذه العبثية وهموم الحياة.

فهي أمرأة تعاني من انفصام الشخصية ذلك الفصام هو بسبب البحث عن ذاتها المغيّبة بفعل الأحداث والظروف القاسية التي مرت بها البطلة لعلّها تجد نفسها بالصور والشخصيات التي تتلبس بها .

-أيوب

والد عفاف، هو رجل هادئ لا يحب الثرثرة، عالماً بكل ملامح بغداد، اسم أيوب يُحيل إلى منظومة من القيم الأخلاقية والروحية، اسم النبي وما تجسده تلك الشخصية الدينية من التمسك بالاخلاق وثيمة الصبر على البلاء، وهذا ما حدث مع والد عفاف الذي فقد من يحب رحل عنه أبنه هلال بسفره إلى الخارج، ومن ثم غياب عفاف في بلاد الغربة.

العم مختار

مختار هو اسم مشتق من الفعل خار، وخار الشيء اختاره وانتقاه، وخاره مختار لأن خار في قوة اختار، ويقال: أنت بالخيار وبالمختار سواء، أي اختر ما تشاء. [2] مختار مهنته المحاماة وهو عم البطلة كان منصاعاً وراء ملذاته المتمثلة بالنساء، والخمرة ((أنت رجل مُغرٍ للكتابة، محام سكير ضجر مسن)) [3] فهو يعشق كل النساء [4] دائم الشعور بالخواء، مريض ترتعش يده لا يجيد الحديث لتأتأة لسانه، وفي عينه حول.

-معاذ الآلوسي

أستاذ معاذ المهندس المعماري الذي شغفت بتصميمه المبدئي للمكعب،أستاذ في كلية الهندسة.

-صميم

يقال للرجل: هو منصميم قومه إذا كان من خالصهم، وصميم الحر والبرد: شدته، والتصميم: المضي في الأمر، وصمم فلان على شيء أي سار على رأيه بإرادته. [5] **هو هو** نحات وكاتب، وُكّلت إليه متابعة قضية عفاف الغائبة، ينتمي للحزب الشيوعي، وهو زوج طرب .

-طرب

الطرب: خفة تعتري عند شدة الفرخ أو الحزن والهم، أو هو حلول الفرح وذهاب الحزن، وهو الحركة، وربما دل على الشوق والجمع منه أطراب[6] وهي نحاتة تنحت بشكل جميل، تنتمي للحزب الشيوعي، خريجة اكاديمية الفنون الجميلة. زوجة صميم وصديقة عفاف.

سيميائية الزمان

---

(1) ينظر: التانكي، ص: 58.
(2) ينظر: لسان العرب، مادة خير، باب الخاء، 259/4.
(3) التانكي: ص: 63.
(4) ينظر: المرجع نفسه: ص: 87.
(5) ينظر: لسان العرب، باب الصاد، مادة صمم، 413/7.
(6) ينظر: المصدر نفسه، باب الطاء، مادة طرب، 135/8.

للزمان مكانة مهمة في عالم الرواية، فهو عمودها الذي تُبنى عليه عناصرها الأخرى، وفيه تنحصر معظم الأحداث التي تشكل الرواية،((وهو أهم عنصر فني اعتنى به نقاد السرد معتبرين الرواية الحديثة فناً زمنياً خالصاً مثلما أن الموسيقى كذلك فن زمني خالص)) [1] ، والزمان عنصر أساس يقوم عليه فن القص، فإذا كان الأدب يُعدّ فناً زمانياً، إذا صنفنا الفنون إلى زمانية ومكانية، فإن القص أكثر الأشكال الأدبية التصاقاً بالزمان. [2]

تفتتح الرواية منذ الصفحة الأولى على الماضي بإخراج صورة قديمة من ألبوم صور عائلة أيوب، وتذكر تفاصيل وقوف الشخصيات وأماكنهم. [3] ثم تتحول في تتابع باقي أحداث الحكاية إلى زمن الحاضر وزمن المستقبل ثم تعاود الرجوع إلى زمن الماضي.

تستذكر الروائية أحداث مرت على العراق والتقلبات الكبيرة التي شهدها في النصف الأول من القرن الثامن عشر وحتى عام 2011 زمن حكي الرواية، أحداث كان لها الأثر الكبير على كل من يعيش في هذا البلد، مروراً باحتلال الأنكليز عام 1917، وذكر شخصيات سياسية مثل أحمد حسن البكر، ورشيد عالي الكيلاني، وحكم حزب البعث، والحروب التي شهدها العراق والحصار القاسي الذي مر به وحكايات أبطال الرواية، وما ترمز إليه الذاكرة من إعادة انتاج الماضي.

((إنَّ العلاقة المتبادلة بين الذاكرة الثقافية، والتأمل الذاتي هي تشبه الحوار المستمر والدائم: فالنصوص المنحدرة أو المعبرة عن فترات زمنية سالفة يمكن ضمّها إلى الثقافة فتتفاعل مع الآليات المعاصرة، وتولد صورة للماضي التاريخي الذي نقلته الثقافة، وتصبح شريكا مساوياً في الحوار، لها القدرة في التأثير على الحاضر)). [4]

استرجاع صور من حكم العراق، كصورة عبد المحسن رئيس الوزراء وذكر طريقتهم في الملبس والمأكل، وحتى حركات الأيدي والوقوف عند المصور، وياقات قمصانهم الجميلة، كلها رموز ثافية تشير إلى الاختلاف الكبير بين رجال الماضي ، ورجال السياسة الآن، فهم من ينطبق عليهم كلمة الرجال((كانوا رجالاً من صدق)) [5]

رواية التانكي تقارن الزمن القديم ووضع بغداد كاشفة عن حياة أهلها من رخاء ((هيا أمشي نكشف الطُرق والفيلات وطين الأرض ورائحة الرارنج، وهو ينفلع على الشجرة)) [6]، والصورة الجميلة للحياة وما آلت الأوضاع عليه الآن من ضياع ودمار، يجعل أبطاله أبطاله يشعرون بالحسرة والألم.

أستطاعت الرواية أن تأخذنا بزمانها إلى أحداث شهدها بلد العراق، كاشفة عن ثيمات ثقافية ومقارنتها بين الماضي والحاضر الذي يجسده وقت كتابة النص الروائي.

سيميائية المكان

يُعد المكان عنصراً مركزياً في تشكيل العمل الروائي لاتصاله الوثيق بالعناصر البنائية الأخرى، وانضمامه إلى علاقات متعددة، مع سائر المكونات السردية، مثل الأحداث والرؤى السردية والشخصيات، والزمان، واللغة، وعدم النظر إليه داخل هذه العلاقات التي تربطه بكل عناصر البناء الروائي يجعل من الصعب فهم الدور الفني الذي ينهض به المكان داخل الرواية. [7]

(1) الراوي وإيقاع السرد(رواية وحشة النهار لخالد اليوسف-نموذجا)، بروفسور آمنة يوسف، ص: 23.
(2) ينظر: سيميائية التشكيل والدلالة في الرواية السياسية المعاصرة، ص: 109.
(3) ينظر: التانكي، ص: 13.
(4) السيميائيات الثقافية مفاهيمها وآليات اشتغالها المدخل إلى نظرية يوري لوتمان السميائية، ص: 140.
(5) التانكي، ص: 19.
(6) المرجع نفسه، ص: 18.
(7)البناء الفني في الرواية دراسة تطبيقية في الرواية السعودية، د. حسن بن حجاب الحازمي، ص: 296-297.

في رواية التانكي ذكرت أماكن عديدة كان أبرزها شارع التانكي الذي سُميت الرواية باسمه، هو شارع الأخطل في منطقة الاعظمية، هو الشارع ذاته الذي يتقاطع مع شارع الطبقجلي، ناظم الطبقجلي هو ضابط عراقي جُلِب لمحطة الإذاعة العراقية وأعدم أمام المشاهدين.[1] كانت تذكر مدى الدموية التي حلت في ذلك الزمان من حقبة البلاد دلالة على الشر وعلامة على الموت((حظي بميزة لم نشاهدها من قبل: القتل بدون ارتكاب خطأ واحد))[2]

وتبدو السخرية من الوضع والأحداث المرتبكة تجسد قمة الوجع للمواطن العراقي، وتوسمت السلطات الحاكمة بالشر، الذي اطلقت عليه الروائية بالتراتيبية في استعمال الشر، وهو يعني جر البلاد إلى المزيد من إزهاق النفوس، من إجل الحفاظ أو الحصول على السلطة.

كما كان لمكان الكلية في بغداد تلك الكلية التي قام بتشييدها الفاذرية، إذ جرى التفاوض بين مفوض الولايات المتحدة وجعفر العسكري على تأسيسها[3] رمزية وثيمة لتوطين القوات الأمريكية في البلاد وتشبيههم بالمارينز الذين دخلوا البلاد في عام 2003 نظرية المؤامرة التي حيكت منذ سنين طوال والتمهيد لهذا الاحتلال.

بعد هذا الاحتلال عاشت بغداد اسوأ أيامها فبعد أن كانت مدينة جميلة عملوا على تخريبها وإرجاعها إلى الوراء إلى زمن التخلف فوصف شارع التانكي في بغداد بعد هذه الأحداث يجلب الغصة والأسى، إذ بدت صحة شارع التانكي في أدنى حالاتها، وأنا أدوس واتعثر الحفر.[4]

لم يقتصر المكان على بغداد وإنما كان هناك مكان آخر المكان الذي رحلت إليه عفاف فرنسا، بلاد الفرنج المشؤومة.[5] سيميائية المكان توحي إلى العلاقة المتوترة بين الغرب والعرب، تلك البلاد التي ظنت عفاف أنها ستجد نفسها فيها، لكنها ازدادت ألماً وحسرة ووصلت فيها إلى أبعد حالات المرض.

هي لم تكن سعيدة في بلاد المنفى، فهذه البلاد لا تمنح رُبعاً أو جزءاً من الحظ، هي بلاد مستبدة، تدوس على أصابع اليدين والقدمين.[6]

كان للمكعب أثر كبير على عفاف واصحابها، فكلهم كانوا يحلمون به فهو مكان للجمال والفن، فالمكعب هو خزان الماء ذاته هو أرض بغداد التي كانوا يحنون لترابها.

هي ذراعي وذراعها نحضن بصدورنا الضعيفة والهشة محيط التانكي، ولا نصل إلى ضلع واحد من أضلاعه.[7] هلال عاش في انكلترا وعفاف في فرنسا وهما يريدان احتضان بلدهما فلا يستطيعان الوصول إليه، لقد باعدت بينهما وبين العراق ظروف قاسية، هذا البلاد الذي أرادوا جميعهم أن يكون فيه الجمال والفن ويدعون فيه كل من يحب الجمال، دلالات سيميائية عن تعلقهم بالبلد الذي هو المكعب العزيز على قلوبهم.

صار المكعب بالنسبة لهم كائن حي له فم وأنف، ووجدان، وخيال، يتمنون له الحظ السعيد، فهم ينزلون عليه من الأسقاطات وكأنه بشر.[8] ، كل واحد منهم كان في داخله

(1) ينظر: التانكي، ص: 25-26.
(2) المرجع نفسه، ص: 26.
(3) ينظر: المرجع نفسه، ص: 29.
(4) ينظر:التانكي، ص:67.
(5) ينظر:المرجع نفسه، ص:16.
(6) ينظر:المرجع نفسه، ص: 131.
(7) ينظر:المرجع نفسه، ص:102.
(8) ينظر:المرجع نفسه، ص: 44-45.

مكعب، أي في داخله الوطن الذي يسكن في الجسد قبل أن تسكن الروح فيه، فمهما باعدت بينهم وبينه المسافات لا يمكنهم تحمل مشقة البعد عنه.

الكاتبة جسدت التصاق الابطال بالمكان ومحاولتهم استعادته، ورحلتهم وقصصهم على اختلافها توحدها ثيمات الالتصاق بالوطن التصاق اللحم بالعظم، فإن انفصلا تكون العاقبة الألم والنزف والجراح، ومن خلال وصفها المكان في الرواية تتشابك معه الأحداث التاريخية التي تغطي سيرورة العلامات الدالة على الصراعات الدموية، وعدم الاستقرار، والرجوع بالبلد إلى الوراء بفعل المؤامرة التي حاكتها دولة المحتل.

الخاتمة

أنَّ تحليل النصوص الروائية على وفق نظام الفكر، والثقافة، والرمز يجعلنا نقترب أكثر من حقائق الوجود الإنساني عن طريق استحضار اشكال الرموز الثقافية، فالسيميائيات الثقافية هي عملية التحرر التدريجي للذات الإنسانية، إذ كشفت الدراسة عن الرموز المتجسدة في عنوان الرواية وما فيه من دلالات عبرت عنها صورة الغلاف، وسيمياء الشخصيات بأبعادها النفسية والاجتماعية، وثيمات الزمان والمكان التي اوضحته الدراسة.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

- البناء الفني في الرواية دراسة تطبيقية في الرواية السعودية، حسن بن حجاب الحازمي، دار النابغة، طنطا،ط2، 2016م.
- التانكي، عالية ممدوح، منشورات المتوسط، ايطاليا، ط1، 2019م.
- الراوي وإيقاع السرد رواية وحشة النهار لخالد اليوسف- نموذجا، بروفسور آمنة يوسف ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، ،2015م.
- سيمياء التشكيل والدلالة في الرواية السياسية المعاصرة، د. جودة عبد النبي جودة، دار النابغة، طنطا، ط1، 2018م.
- السيميائيات الثقافية مفاهيمها وآليات اشتغالها المدخل غلى نظرية لوتمان السيميائية، عبد الله بريمي، دار كنوز المعرفة، عمّان ط1، 2018م.
- السميولوجيا والشعر العربي القديم المفضليات للضبي نموذجاً، أحمد سالم ولد باه، المكتبة المصرية، القاهرة، ط1، 2010م.
- سيميائيات جوزيف أسسها النظرية وافاقها التطبيقية، د. دايري مسكين، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان، ط1، 2018م.
- السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل،عبد الواحد المرابط، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010م.
- السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، دار الحوار، سوريا، ط3، 2012م.
- سيميائية النص الروائي عبد العزيز مشري انموذجاً،أحلام محيسن القثامي، الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2021م.
- السيرورة السيميائية ومشروع الدلالات المفتوحة قراءة في الخطاب النقدي المغاربي، د. بن سنوسي سعاد، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان، ط1، 2018م.
- العتبات في شعر الرواد،د. سعدون محسن إسماعيل الحديثي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2021م.
- العلاماتية وعلم النص، د. منذر عياشي، دار المحبة، دمشق، د.ط، 2009م.

- العنوان في الشعر العراقي الحديث دراسة سيميائية، حميد الشيخ فرج، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ط1، 2013م.
- لسان العربابن منظور، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م.
- اللغة واللون، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1997م.
- معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م.
- معجم مصطلحات السميوطيقيا، برونوين ماتن و فليزيتاس رينجهام، ترجمة عابد خزندار، المركز القومي للترجمة،ط1، القاهرة، 2008م.
- مقومات السرد في الشعر الحكائي أحمد سِمَاعِين للأبنودي نموذجاً، د. كاميليا عبد الفتاح، دار النابغة، طنطا، ط1، 2021م.

ثانياً: مواقع الأنترنت

- العرب

https://alarab.news/%D8%B9%D8%A7%D